وأبنائها في هذا السبيل[53]. وما تفتأ تؤكد له أنها ستثبت إلى حواره حتى آخر رمق من حياتها.

وفي «هيدا جابلر» نرى «هيدا» التي تنتمي إلى طبقة السلاء، تغامر وتعب من الحياة حتى ترتوي وتسأم، ثم يموت والدها، وتشعر بأن السن قد تقدمت بها ولما يطلب يدها أي أحد من أصدقائها ومعارفها، فتخشى أن تبقى عانساً، وترضى أن تتزوج من رجل من الطبقة الوسطى التي تعتقد أنها دون طبقتها. وكان هذا الاعتقاد يجعلها تحتقر زوجها، وتوحي إليه دائماً بأنها منفوقة عليه، بل إنها كانت لا تكتفي بالإيحاء، وإنما تصرح بما تعتقده إلى بعض أصدقائها تصريحاً مراً، حين تمدح زوجها بطيبة القلب والاستقامة:

«براك : إن استقامته وحسن سيرته فوق كل شك.

هيدا : ولست أرى فيه ما يبعث على السخرية. هل ترى أنت فيه شيئاً من ذلك[54]؟

ثم إن «هيدا» امرأة تمقت فكرة الأمومة، وترى أنها تقيدها، وتفضل أن تعيش كالرجال حياة الخشونة والمغامرات، حتى أن الدكتور «علي الراعي» يعدها من النساء اللواتي «يشعرن برغبة جارفة في أن يصبحن رجالاً[55]». ولنستمع إلى حوارها مع صديقها «براك» الذي يذكرها بالأمومة التي يمكن أن تكون مصدراً لسعادتها فتسكته وتؤكد له أنها لاتفكر إطلاقاً في أن تصبح أماً مثل الأخريات:

«براك : .. لنفرض أنه حدث كما يقول الناس ـ بلغة مهذبة ـ أن مسؤولية عظيمة أصبحت من نصيبك؟ (باسماً) مسؤولية جديدة يا مسز هيدا؟

هيدا : (غاضبة) اسكت! لن يحدث شيء من هذا القبيل!

براك : (بحذر) ستكلم في هذا الموضوع مرة ثانية بعد سنة من الآن ـ على أكثر تقدير..

هيدا : (بحزم) ليس لدي استعداد لشيء كهذا أيها القاضي براك.